

العقل مثل الحقل

العقل المثقف، مثل الحقل، يعطي القوة والصحة لطاقة الحياة. العقل غير المعالج يشل ويعطل طاقة الحياة.

ما تزرعه تحصده!" (غلاطية 6: 7)

هذه المقولة القديمة والمقدسة هي واحدة من أكثر التعبيرات إيجازًا في وصف طبيعة العقل البشري. إن العقل البشري يشبه الحقل غير المزروع؛ إذا تركناه بمفرده، فإن نبات القراص والأشواك والنباتات الضارة سوف تنمو هناك من تلقاء نفسها.

في السريانية، يسمى هذا النوع من الحقول غير المزروعة (ܡܚܠܐ ܥܕܝܐ) الحقل العدي. من ناحية أخرى، الحقل الذي تم العمل فيه وسقيه وزراعته وصيانته بانتظام يسمى (ܡܚܠܐ ܡܪܘܝܐ) الحقل المروي.

هذه الاستعارة صالحة أيضًا للعقل البشري. إذا لم يتم التحكم في العقل وتدريبه، فإن الأفكار العفوية غالبًا ما تصبح معقدة ومبعثرة وغير منتجة. القلق والتحييزات والمعتقدات الخاطئة والمشاعر السلبية تحيط بعقولنا مثل حقل غير مزروع. العقل الذي لا تتم معالجته بالمعرفة والوعي يمكن التلاعب به بسهولة، ويمتلئ بالأفكار المضللة ويتسبب في فقدان الإنسان للسلام الداخلي.

وعلى النقيض من ذلك، فإن العقل المثقف يشبه الحقل الخصيب الذي تم العناية به جيدًا. إن العقل الذي يتغذى بالقراءة والتفكير والتساؤل والتعلم الواعي يزد من الحكمة والفهم. كما قال القديس مار أفرام (306-373): "إن بذرة الحكمة لا تنبت إلا في العقل المنظف والمروي".

وفي الختام، فإنه في أيدينا أن نحول عقولنا إلى حقل خصب مثل "الحقل المروي". لأن العقل الذي لا نعمل عليه سوف يخرج مع مرور الوقت عن سيطرتنا ويصبح مغطى بالأشواك والأعشاب الضارة مثل "الحقل العدي". ومع ذلك، فإن العقل الذي يتم تنميته بالجهد الواعي يصبح مصدرًا للحكمة والسلام.

والسؤال الذي يجب طرحه هنا هو:

كيف نختار أن نحول عقولنا إلى حقل في تعقيدات الحياة؟ ما هي الأنشطة العقلية التي نقوم بها لتجاوز أنفسنا وتحويل الألم إلى شفقة؟

تقدم الحياة للإنسان العديد من الاختبارات. إن المعاناة، وتجربة الخسارة، ومواجهة خيبات الأمل هي جزء من كوننا بشراً. لكن كيفية تشكيل هذه التجارب لنا هو أمر متروك لنا بالكامل للاختيار. نتصحن الحكمة السريانية باكتشاف التعاليم المخفية داخل الألم بدلاً من رؤيته كعدو. لأن هناك بذرة في الألم، وما نسقيها به يحدد نوع الثمار التي ستنتجها. إذا قمنا بتغذية هذه البذرة بالغضب والانتقام، فإنها ستتمو إلى حقل من الأشواك الذي سوف نضيع فيه. ولكن إذا رعايناها بالصبر والفهم والرحمة، يمكننا أن نزرع شجرة توفر الظل لأنفسنا وللآخرين.

يكشف الإنسان عن هويته الحقيقية من خلال كيفية تحمله للألم. في حين أن الغضب يشبه النار المدمرة التي تلتهم كل شيء، فإن الرحمة تشبه البلسم الذي يشفي الجروح. كما قال الحكماء السريان: "التسامح يكسر سلاسل الروح". ليس من الممكن أن نمنح الحرية للآخرين دون أن نكسر السلاسل داخل أنفسنا. الشفاء الحقيقي لا يعني إنكار ما حدث، بل رؤية الحقيقة فيه، وإعادة بناء نفسك، وبناء شخصية قوية.

أعظم وهم هو فكرة أن الإنسان محكوم عليه بالألم. ومع ذلك، لا يزال الضوء مشتعلًا في أعماق الروح. هذا النور هو المصباح الذي ينيّر طريق الباحثين عن الحقيقة. في الفكر السرياني، هناك مفهوم "نور الحياة"، أي "نور الحياة". مهما بلغ حجم الظلام الذي يجذب الإنسان، فإنه يستطيع إيقاظ النور الذي يحمله في داخله.

من يملأ عقله بالجمال والحكمة والحب لن يسمح للألم أن يسيطر عليه. كما قال مار أفرام (306-373) في ترانيمه: "إن مرفأ العالم كله مخفي في صدر من امتلأ قلبه بالحب".

إذا اكتشف الإنسان ذلك الميناء في داخله فإن العواصف لا تستطيع أن تؤذيه.

الإنسان الذي يستطيع التغلب على آلامه يصبح نورًا للآخرين. لأن كل صعوبة يواجهها تتحول إلى تجربة ستهدي شخصًا آخر. في الحكمة السريانية، إحدى الطرق للوصول إلى الحقيقة هي من خلال النضج الداخلي.

فالحقيقة لا تُتعلّم من الخارج فقط؛ في بعض الأحيان أعظم الدروس تنبت بهدوء في الروح البشرية. التغلب على الذات لا يعني هزيمة أولئك الذين يؤذونك، بل يعني تحويل الألم إلى شفقة. لأن النصر الحقيقي يكمن في حرية الروح.

. ملفونو يوسف بختاش

رئيس جمعية الثقافة واللغة السريانية وادبها / ماردين